عنوان المحاضرة:

أشكال القصيدة الجزائرية المعاصرة

من خلال تجربة الشاعر يوسف وغليسي

مدخل: التجربة الشعرية الجزائرية غنية و ثرية، تعددت فيها الأسماء و المواضيع و التجارب ،و الأشكال الشعرية و الرؤى الشعرية، وكل مرحلة شعرية تكمل الأخرى ،تتقاطع معها في بعض الأشياء و تضيف إليها أشياء أخرى ، تبعا لخصوصية المرحلة و الراهن الشعري.

أشكال القصيدة الجزائرية المعاصرة:استمرت الكتابة الشعرية الجزائرية المعاصرة على نسق الشعر الجزائري الحديث، فوجدنا القصيدة التقليدية –العمودية- و القصيدة الحداثية –شعر التفعيلة-مع تجريب أشكال جديدة مثل القصيدة النثرية،أو التحديث في الأشكال المكرسة فظهرت القصيدة الومضة، قصيدة الهايكو مثلا، و كذا استثمار العتبات و الفضاء الطباعي في بناء النص.. و لأنه من الصعب الحديث عن تجلي هذه الأشكال الشعرية عند كل الشعراء الجزائرية-لطبيعة المحاضرة و الوقت المخصص لها- سوف نركز الحديث على تجربة شعرية جزائرية واحدة للإفادة أكثر .

أشكال القصيدة الجزائرية المعاصرة من خلال تجربة الشاعر يوسف وغليسي: من بين الأسماء الشعرية الجزائرية المعاصرة التي تميزت برؤية شعرية و فلسفة خاصة للكتابة الشعرية ،الشاعر يوسف وغليسي، الذي استوعب المقولات الشعرية،و كتب بطريقة تنسجم مع ذاته و زمنه، ارتبط بالماضي، و تحصن بالحاضر و تطلع للمستقبل، و قد أبانت نصوصه الشعرية عن كل ذلك، فهو شاعر-في رأيي – عارف بالشعر، متمكن منه، و سنحاول في هذه المحاضرة إبرار الأشكال العرية عنده من خلال جملة من العناصر؛ منها: المكان الجزائري ، الموروث الديني و التاريخي ،العتبات النصية، و التشكيل الخطي وعلامات الترقيم .لأنها في اعتقادي عناصر مهمة لفهم التجربة الشعرية عند الشاعر يوسف وغليسي.

شكل القصيدة و المكان الجزائري: المكان عند الشاعر يوسف وغليسي ، لا يرتبط بمسقط الرأس أو مقر العمل،بل هو أشمل من هذا و ذاك ، و يرتبط بالتجربة الشعورية له. و هذه الأخيرة هي التي تجعله يذكر هذا المكان و يتفاعل معه و يبثه أشجانه ، في حوار شعري ينفذ إلى أعماق القارئ ،أو تجعله يعرض عن هذا المكان وإن كان موطن الولادة . و قد تجذر هذا المكان "سرتا "في أعماق الشاعر، كما تجذرت الأشكال الشعرية ،فحتى و هو" على عتبات الباهية "وهران، ما فتئ يذكر " سرتا " و يبرز تمسكه بها و حنينه إليها ، عن طريق العودة إليها و الإصرار على تواترها داخل النص الشعري و مقارنتها بمدينة " وهران " :

" سرتا " مدينةُ عشقي الأبديّ ..
معراجُ النبوةِ .. مكَّةُ العُشّاقِ ..
مبتدأُ الترّحال ، و منتهى خبر السؤالْ ...
"وهرانُ " منفى الأنبياءِ و كعبةُ الفُجّارِ ..
نافذةُ الفؤادِ على تضاريسِ الجمالْ !..
وطنُ الغواني القادمات من الشمالْ ...

ف"سرتا" هي مدينة العشق ،و معراج النبوة ،و مبتدأ الترحال... و " وهران" على نقيض منها، فهي منفى الأنبياء،و كعبة الفجار، و وطن الغواني، و كل الموبقات... فالشاعر انتقل من النقيض إلى النقيض، من مكان الطهر إلى مكان الفجور، و بدا تحيزه لـ"سرتا" واضحا، و هذا أمر منطقي له دوافعه النفسية و الاجتماعية.

و هذا الانتقال بين المكانين؛ وهران كعبة الفجار ،و سرتا مكة العشاق ،جعله يزاوج بين شكل الكتابة العمودية و شكل الكتابة الحرة ، في نص واحد ، منوعا في الإيقاع، فمن البسيط ينتقل إلى الكامل ، مثلما انتقل من قسنطينة إلى وهران ، أو بالأحرى من البساطة إلى الكمال المكاني :

مُدّي ذراعيْكِ ، يا وهرانُ ، ضُمّيني فإنني قادمٌ من "طورُ سنين" !
مسافرٌ في غمام الروح،، أمْخرُه مشّردٌ ،، لاجئٌ ،، لا قلبَ يؤويْني..
وهرانُ ! أنهكني التّرحالُ ..هَأَنَذا أطوي الصحاري.. و لا ظلٌّ يواريني!
فالرّملُ يُغْرقني.. و النّخل يُنكرني.. و الغيمُ يَلعنني .. و القيظُ يَكْويني!..

***

قدرٌ ..قدرْ
أبدًا أسافرُ في تفاصيل الدُّنَى
أبدًا و أُلقى في غياباتِ
التّشرّدِ و الضّجَرْ...
قدرٌ ..قدرْ
(لابدَّ منْ "سِرتا" و إن طالَ السّفرْ) ! ! !.

لقد انتقل الشاعر من مكان إلى آخر و انتقل من جغرافيا نصية إلى أخرى، فالانتقال المكاني فرض انتقالا نصيا و إيقاعيا ، ليبرز المغايرة الحياتية و الشكلية و النفسية، فهو في عوالم متعددة و لا ضير أن تتعدد عوالم الكتابة الشعرية عنده.

فالمكان الجزائري تنوع و تعدد مع الشاعر يوسف وغليسي، بل إن بعض المدن الجزائرية قد تحولت عنده إلى رمز شعري مثلما نجد مدينة بسكرة ،حيث جعلها ملجأه و مكان تطهره، أو بالأحرى المدينة البديلة لمدينة قسنطينة،فمن قسنطينة الجرح إلى مدينة الصالحين و الطهر كانت رحلته،عله ينسى لبعض الوقت ،لكن قسنطينة في القلب دائما متجذرة، وهي الملاذ الطبيعي و الفضاء الحنيني،و لو خيّر بينها و بين المدينة التي ولد فيها–سكيكدة– لاختارها !؟

وقد تكون المدينة التي تسكن الشاعر هي الملجأ أو المكان الذي يهرب إليه الشاعر لأنه لم يجد ذاته أو ما يبحث عنه في مدينته الأصلية مثلما فعل الشاعر يوسف وغليسي الموزع ما بين مدينة سكيكدة و مدينة قسنطينة و الهارب إلى المدينة الفاضلة الطاهرة، البديلة ، مدينة بسكرة ، التي بعدت مكانيا و قُربت نفسيا ،حيث قام الشاعر بهجرة عكسية ، من الشمال إلى الجنوب على غير العادة ،مخالفا في ذلك الكثير من الشعراء في نصه " أنا و زليخة و موسم الهجرة إلى بسكرة !" :

إنّني طائرٌ مثْقَلٌ بالنّوى ،،
طائرٌ بالهجير اكْتوى ،،
راحلٌ مع طيور المنى ،،
لأُهَرّبَ حبّي إلى مُدُنٍ لا تُبيحُ دمَ العاشقينْ !
إنّني /يوسفُ/.. قادمٌ أتأبّطُ عَارَ "العزيز" وذكرى أبي . .
قادمٌ والخطيئةُ تصْهل في الرّوح . . تغتالُني . .
قادمٌ منْ سَعير" الخَرُوبِ" إلى زَمْزَمِ" الصّالحيْنَ" ،
لكيْ أتطهّرَ من كيْد" زليخةْ" !. .

فالشاعر لجأ إلى مدينة بسكرة ليحافظ على حبه ، ولينجو بنفسه من المدن التي تقتل العاشقين –قسنطينة–،و التي تعتبر الحب من أكبر

الخطايا، ليقوم بعملية تبادلية بين مكانين مختلفين – قسنطينة و بسكرة- و بين موقفين متباعدين –موقف النبي يوسف مع زليخة امرأة العزيز و موقفه مع حبيبته- لتكون المدينة البديلة هي دواء الجرح الداخلي:

قادمٌ منْ أقاصي المدينهْ
فاحْضنيني أيا بسْكرهْ!
دَثّريني بسَعْفِ النّخيل أيا بسْكرهْ !
ما أطْوَلَ عمريَ ! ما أقْصَرَهْ !
ما أضْيقَ قلبيْ !
ما أوسعَ الجرحَ يا بسْكرهْ ! .

فعوض أن يهاجر الشاعر يوسف وغليسي إلى الريف أو القرية هاجر إلى مدينة صحراوية حارة مستفيدا من القصص القرآني و قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع زليخة زوجة العزيز، متناصا معها في تجربته العاطفية الذاتية ،على طريقته الخاصة، فأصبحت مدينة بسكرة هي مدينته الفاضلة التي لا تبيح دم العاشقين، و التي يبحث عنها على مستوى المخيال الشعري.

فهذا التعدد المكاني عند الشاعر يوسف وغليسي جعله يعدد في الأشكال الشعرية ،بل في الشكل الواحد كتب فيه بطرق مختلفة فغير في البنية الشكلية وكتب في أشكال تواكب العصر و متغيرات الحياة ،فنجده من أهم الشعراء الجزائريين المعاصرين الذين كتبوا قصيدة الومضة مثل عزالدين ميهوبي...

فيوسف وغليسي في ومضته "آه يا وطن الأوطان" يختصر المسافات و يلخص ما حدث في الجزائر في فترة التسعينيات، في شكل رمزي ،و قد أبرزت لغة النص ذلك بطريقة شعرية متميزة ، جمعت بين البساطة و الإيحاء، من خلال استثمار الثقافة المعرفية و الدينية، و تمثل الماضي البعيد في الحاضر الأليم :

في وطني ،،
في وطن الأوطانْ !
في فضاءِ حقولِ القمحِ
تشاجرَ عصفوران..
سَقَطَا ..
سقطا بأمانْ ،،
سقطا في أمانْ !..
لا غالب ..لا مغلوبْ !
و الضّحيةُ سنبلتانْ !!!
آهٍ يا وطنَ الأوطانْ !....

فالنص الشعري إنبنى من كلمات قليلة- الوطن، حقل القمح، السقوط، السنبلة، الضحية، الغلبة-،لكن الشاعر قدم من خلالها قصة الوطن مختصرة ،ورؤيته للوضع- لاغالب لا مغلوب، والضحية سنبلتان-اعتمادا على التركيز اللغوي و التكثيف الشعري. فللوطن نصوصه المتنوعة و للنصوص أوطانها المتعددة ، الوطن هو الهوية وليس الخريطة الجغرافية، و شهادة الميلاد لا تكفي للانتساب إليه ، هو المنفى في الداخل ،و الأمل في الخارج ،و البؤرة المركزية التي تستقطب تفاصيل الحياة ،فحبل الودّ موصول بالرغم من الشعور بالغربة ، و المنفى فيه ، لأن الشعراء يحملونه بداخلهم ، و معرفته الحقيقية هي معرفة الإنسان و الذات المتجذرة فيه، هذه المعرفة قد تتطلب زمنا طويلا للوصول إليها لتحقيق الذات في رأي الشاعر يوسف وغليسي :

زمني في منأى عن كلّ الأزمانْ..

ما أغربَني في وطنٍ لا يَتَشَبّهُ بالأوطانْ...
فاليومُ الواحدُ فيهِ مثلُ أُلوف الأيامْ
و إذنْ ...
كم يلزمني من عمرٍ في وطني
حتى أصبحْ إنسانْ ؟!

الغربة المكانية تحيط بالشاعر ، فهو غريب في وطنه و اليوم الواحد في هذا الوطن مثل ألوف الأيام ، يتحول الزمن عنده من مفهومه المادي إلى مفهومه النفسي ،و يبقى الشاعر يتساءل عن الزمن الحقيقي الذي يلزمه ليعود لإنسانيته و يدرك ذاته الحقيقية ، فالنص يكشف لنا عن مأساة هذا الوطن بطريقة غير مباشرة .

غير أن الشاعر يأمل في عودة الماضي و التاريخ المشرف، إيمانا منه بحتمية التغيير و التحول ،وأن التاريخ قادر على إعادة نفسه، و هذا ما ذهب إليه الشاعر يوسف وغليسي في قصيدته " العشق و الموت في الزمن الحسيني، أو ما لم يقله صاحب معلقة الجيل الأخضر !" حيث بحث الشاعر عن نوفمبر فلم يجده و وجد كل الشهور تخونه في جزائر الاستقلال، فعاد إلى بغداد ليوحدها بالأوراس ، مثلما توحد المهاجر والأنصاري و العربي و البربري من ذي قبل ، لعل بغداد تعيد مجد الأوراس و تعيد الاخضرار الذي ضاع ، فالمصير مشترك و حلم نوفمبر الجديد و من خلاله حلم الأوراس سيتحقق مع بغداد و عاد إلى الشكل الشعري الأول –القصيدة العمودية–كأن العودة إلى التاريخ تستلزم عودة شكلية على مستوى البناء الشعري:

عبثًا أفتّشُ في الشُّهور عَنِ الوفـا كلُّ الشهور غَدَتْ تَخونُ نُفَمْبَرَا !
أوراسُ !.. إنّي عابِرٌ مَثْـوَاكَ .. أَوْ راسيّةَ العيْنين ! كوني المعْبرا ..
أهواكِ.. أهوى طلعةَ الأوراس في عينيكِ .. أهوى ما سمعتُ و ما أرى..
بغدادُ و الأوراسُ في هذا الفُـؤَا دِ تَوحَّدَا : أنْصاريًا و مُهاجِـرَا ...
في الدّينِ انْصَهَرَا .. و نامَا تَوْأَمَيْ نِ و مُرضَعَيْنِ : مُعَرَّبًا و مُبَـرْبَرَا !
بغدادُ! إنّي قادمٌ .. فلْتَـحْضُنِي قلبًا تزملَ بالهوى و تدثّـرا
لنُعيدَ أحلامَ الحضارةِ و الصِّبَا و نُلوّنَ الأفقَ " المؤَمْرَكِ " أَخْضَـرَا !

فالنص السابق يشير إلى توحد المكان التاريخي و إلى تمسك الشاعر بخيوط الحلم أنى كانت، و قد اشتمل على تناص واضح في العنوان مع عنوان رواية الطاهر وطار " العشق و الموت في الزمن الحراشي" و تناص أخر مع نص " معلقة الجيل الأخضر " للشاعر عيسى لحيلح ، مضمونا و ايقاعا ،و هذا التناص لا ينتقص من قيمة النص الجمالية لأن " النص انفتاح على واقع خارجي و تفاعل مع سياقه ، فالنص يتولد من بنيات نصوص أخرى ، فكل نص هو نتاج نصوص سابقة ، النص المتناص يتماهى في علاقات غير أحادية السمة مع نصوص أخرى فقد تكون علاقة تحول أو تقاطع أو تبديل أو اختراق"والشاعر في حاجة إلى السابق و إلى اللاحق في إطار لغته و لغة الآخرين ليؤسس هوية النص الشعري الذي يكتبه و يؤرخ تاريخه و حاضره و يجعله يبقى لمدة أطول دون تكرار أو استخدام لتقنية الإلصاق التي تبعد النص عن أدبيته.

<u>يوسف وغليسي بين الموروث الديني و التاريخي و شكل القصيدة</u> *:*رجع الشاعر يوسف وغليسي إلى القرآن الكريم و إلى السيرة النبوية الشريفة ليغرف منهما في ديوانه الثاني " تغريبة جعفر الطيار"و يمكن القول أن الشاعر قد أحسن استخدام الثقافة الدينية في بناء نصوصه الشعرية ، التي انبنت معظمها على تلك الثقافة المشتركة و هذه العودة انبنت على شعر التفعيلة : ألجأُ الآنَ و حدي " إلى الغارِ"

لا أهلَ .. لا صحبَ .. إلا الحمامةُ و العنكبوتْ !
غربتّني الديارُ التي لا أحبُ ديارا سواها
ولكنني متعبٌ .. متعبٌ من هواها ،،
***

يسألونك عني ..
قل إني نزحتُ إلى "طورِ سنين"،،
إنّي تقلدتُ عرش النبوة في وطنٍ آخر يشتهيني
و يمنحني الوصلَ بالروح في كل حين !

لقد لجأ الشاعر إلى السيرة النبوية المعطرة ليعبر عن غربته في جزائر اليوم ،و تمثل نفسه نبيا جديدا ، و هو يعلم أنه لا نبي بعد الرسول محمد صلى الله عليه و سلم ، فالشاعر يوسف وغليسي أراد أن يعيد تشكيل التاريخ و فق رؤيته و حاجته النفسية و سياقه النصي و تطعيم نصه ببعض ثقافته، ليشكل خيط الوصل بين الماضي و الحاضر . فالشاعر يوسف وغليسي في نصه " وقفة على دمنة الذكريات" يقع حافره على حافر الشعراء القدامى بشكل متميز و مغاير لاختلاف السياق العام للنص و الرؤية الفكرية ، لكنه يستثمر الطلل ليعبر عن تجربته و يبرز رؤاه الشعرية وعلاقته بالأخر البعيد في شكل مقارنة واقعية بينه و بين الطائر المهاجر الذي يحن إلى وكره و مكانه، و في الوقت ذاته يلتزم بالبناء الشعري التقليدي :

على شاطئِ الذكرى جلستُ محيّرا و ذكراكِ أمستْ في فؤاديَ خِنْجرا
و قفتُ على الأطلالِ أبكي عهودَنَا و أستنطقُ الذكرى وحيدًا مُدَمَّـرا
رأيتُ طيورَ العشقِ تهجرُ عشَها فرُحْتُ إلى الأعشاشِ أبكي مهاجِرا
أذوبُ ، و ما رقّت لقلبي قلوبُهم و آهٍ لقلبٍ بالخطوبِ تَعَفّرَا

فالكثير من النصوص الشعرية الجزائرية المعاصرة رجعت إلى الأطلال و الشعر الجاهلي و الإسلامي و الأموي و العباسي وأرخت شعريتها بارتباطها بالمكان –بالطلل–، وقد كشفت هذه النصوص أنه" لا يوجد نص ينفصل تماما عن نصوص أخرى ، إنه دائرة ممتدة تنتصب في كون زمني منفسح تتجمع في محورها و ما بين محورها كلّ النصوص المنتجة، و هذه الدائرة ذات طبيعة معقدة،لا يمكن ببساطة أن نحدد هذا التداخل،من خلال تقنين صارم لتلك العلاقة بين نص و سواه. فالمغايرة اللغوية و تخالف التشكيلات الأدائية تتفارق –بالضرورة– مع النص المتناص ."

و يبقى النص الشعري المتميز المستمر في الزمان و المكان يغرف من لغة الأجداد مرسخا شعريته عبر ما يزخر به من إبداع ، و ليس لأنه ساير التقاليد اللغوية و العروضية ،و ليست الشعرية أيضا الثورة على كل ما هو قديم ،و التأسيس لجديد يتنكر للماضي، بل الشعرية تتجلى في النص عبر تمفصلاته والاستفادة من التقانة الفنية و من الفرص التي تتيحها وسائل الطبع و النشر و من تقنيات الفنون النثرية التي ينحرف بها الشعر إلى فضاء فني جديد . ف " الشعرية هي وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة و البنية السطحية و تتجلى هذه الوظيفة في علاقات التطابق المطلق أو النسبي بين هاتين البنيتين ، فحين يكون التطابق مطلقا تنعدم الشعرية، و حين تنشأ خلخلة و تغاير بين البنيتين تنبثق الشعرية و تنفجر في تناسب طردي مع درجة الخلخلة في النص " و الشعرية هي محصلة التقاء الكلمة اللغوية مع الجملة الشعرية مع السياق مع الصياغة الفعلية للنص التي ينسجم فيها الداخلي مع الخارجي ،النفسي مع التاريخي ...

و إضافة إلى التناص الشعري و اللغوي استخدم الشاعر يوسف وغليسي القناع كوسيلة فنية للتعبير أو بالأحرى" وسيلة درامية للتخفيف من حدة الغنائية و المباشرة و هو تقانة جديدة في الشعر الغنائي لخلق موقف درامي أو رمز فيضفي على صوت الشاعر نبرة موضوعية من خلال شخصية من الشخصيات يستعيرها الشاعر من التراث أو من الواقع ليتحدث من خلالها عن

تجربة معاصرة بضمير المتكلم إلى درجة أن القارئ لا يستطيع أن يميز تميزا جيدا صوت الشاعر من صوت هذه الشخصية، فالصوت مزيج من تفاعل صوتي الشاعر و الشخصية و لذلك يكون القناع وسيطا دراميا بين النص و القارئ و هو وسيط فيه من الشاعر مثل ما فيه من الشخصية التراثية التي يمثلها القناع لأن التفاعل بين الطرفين يضفي على الرمز الفني وضعا جديدا ودلالات جديدة و لاسيما أن صوت الماضي يندغم في صوت الحاضر و يندغم صوت الحاضر في صوت الماضي للتعبير عن تجربة شعرية معاصرة ".مثلما فعل الشاعر يوسف وغليسي في نصيه " تجليات نبي سقط من الموت سهوا " و"تغريبة جعفر الطيار" حيث تقنّع في النص الأول بشخصيات الكثير من الأنبياء، و الشخصيات الدينية ليبرز الأزمة وتمسكه بالجزائر، لقد احتمي بالماضي من الحاضر الأليم و هو في كل ذلك يكتب على الشكلين حسب الحاجة النفسية و الفنية:

أخطبُ الآن فيكم ،

و ذَا وطني مصحفٌ في يدي..

" مالكُ بن دينار" يسكن صوتي

في غمرةِ اللهف:

(وطني امرأة و شحت روحَها بالعفافْ..

وأنا الملكُ الآدميُ الذي يشتهي

أن يموتَ على صدرِها المرمري

خاشعاً يتصدعُ من خشيةِ الوجدِ و الانخطاف!)

و في النص الثاني تقنّع بشخصية جعفر بن أبي طالب للتعبير عن مأساة الوطن وواقع الجزائر، مقدما من خلال جعفر الطيار رؤيته للأحداث، وتطلعاته المستقبلية، و الشاعر في ذلك يشبه في غربته و غربة واقعه غربة جعفر المضطهد المعذب الشهيد، ومقدما الشكل الشعري التقليدي على الحداثي :

إني رأيتُ بموطني ملكين قاما بعد طول تنازع فتـــحاورَا

ملكين يُروى أن هذا قد " تأبط شرَه" ، لكنّ ذاك " تشنفرَا"

و تبادلا علمَ البلادِ و أعلنا حُكْمًا يكون تداولاً و تشــاوراَ

القصيدة و العتبات النصية عند يوسف وغليسي: شاعت العتبات النصية في المتن الشعري الجزائري المعاصر ، وتباينت رؤى الشعراء إليها ؛ ما بين موظف لها بوعي و هدف ورؤيا، و موظف لها بغير وعي أي سيرا على ما هو شائع و مألوف، خاصة فيما يتعلق بالإهداء الكلي أو الجزئي ،للديوان أو للنص الشعري – إذ لا يخلو أي ديوان شعري جزائري من الإهداء – ومن بين التوظيفات الواعية لهذه العتبات النصية ،ما فعله الشاعر يوسف وغليسي في ديوانيه" أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار" بـ" تأشيرة مرور"، و " تغريبة جعفر الطيار" بـ" مقدمة نثرية لتغريبة شعرية".

لقد لجأ الشاعر يوسف وغليسي إلى إغناء النص بمصادر الإشارة النصية ،و الإحالة المعرفية لتفسير أجزاء من القصيدة ، و توضيح مصطلحات أو أماكن واردة، أو عبارات النص المشرئبة دوما إلى القارئ ، لعلّه يتلقى النص و يفهمه،و إضافة إلى الإهداء، هناك المداخل اللغوية التي يلجأ إليها الشاعر يوسف وغليسي كتوطئة للدخول إلى نصه ، و هي غالبا ما تكون رأياً أو مقولةً أو أبياتاً شعرية ،مثلما فعل في نصه" تجليات نبي سقط من الموت سهوا"، حيث افتتح النص بمقطع من أغنية شعبية عراقية،كانت موجهة للقارئ ،و ضعته في الإطار العام للنص ،كما أتبع الشاعر هذه التوطئة، بالعديد من الهوامش في أسفل النص، فاصلا بينها و بين المتن بخط قصير ،ليحدد مسار القراءة ، و يساعد القارئ في تمثل النص، و فهم مرجعياته، و إحالاته المعرفية ، فالشاعر قد اعتمد على النص القرآني في بناء النص ، و قد حاول أن يربط القارئ بنصه أكثر، بإحالته للسورة القرآنية أو القصة القرآنية التي ارتكز عليها ،و من ذلك تضمينه لقصة يونس عليه السلام ، و توجيه القارئ إليها وقد يكون الهامش

المستخدم لتفسير جملة أو عبارة أو كلمة قد يستعصي فهمها على القارئ، فيذلل الهامش ذلك، على اعتبار أن الدخول إلى النص يستدعي الإحاطة بلغته أولا، و بمرجعياته ثانيا ، و قد أكثر يوسف وغليسي في ديوانه" تغريبة جعفر الطيار" من هذه الهوامش و الإحالات.فالهامش أصبح مهما في النص الشعري المعاصر، لكسب المزيد من القراء ، و لفتح مغاليق النص، و يكون بكثرة في النصوص المحمّلة بكمّ معرفي، و ثقافة متنوعة ، و هذا ما لحضناه في بعض نصوص الشاعر يوسف وغليسي ، مع الإشارة إلى أن بعض الشعراء يثقلون النص بمثل هذه الهوامش ، فيحار القارئ بين النص و الهامش ،و تصبح القراءة ، قراءة على قراءة ،أو قراءة موجهة بفعل ، كما أن البعض من الشعراء يحملون النص مرجعيات يفسرونها في الهامش ليُبْرِزوا مدى شمولية ثقافتهم و غنى معارفهم، و معرفتهم. إما بالثقافة العربية و الإسلامية، أو بالثقافة الغربية ، أو بهما معا .فشكل القصيدة عند الشاعر الجزائري يوسف وغليسي بغض النظر عن البناء الشكلي العام طُعم بكل جديد يساعد على تلقيه و فهمه.

نصوص"أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار" للشاعر يوسف وغليسي، كتبت بخط الفنان و الخطاط و الشاعر معاشو قرور حيث رافقت ريشته كل النصوص ،و تكاد تكون نصوصا موازية ،ففي نص " ترانيم حزينة من وحي الغربة" الذي كان عبارة عن مقاطع، لم يكتف الفنان برسم واحد بل أطر النص برسومات جانبية ،و في كل الحالات لا يختلف الرسم عن النص فهو تأكيد ،و بعث جديد له ، و هذا ما حاول الشاعر أن يبرزه في ديوان أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار" و قد تكرر إشراك الشاعر يوسف وغليسي بخطه ،مع ريشة معاشو قرور، و فضيلة الفاروق في العديد من النصوص الشعرية؛منها:"بطاقة حزن"،"سراديب الاغتراب"،"وقفة على دمنة الحب"،"نشيج الوداع"،فجيعة اللقاء"،"تأملات صوفية في عمق عينيك"،" حديث الريح و الصفصاف" ،"انتظار على مرفأ العشق". و في نصوص أخرى الشاعر مع معاشو قرور فقط ،و منها نص " آه يا وطن الأوطان" الذي جاء داخل خريطة الجزائر، فالنص نص المحنة والأزمة التي شملت الوطن كله ، و لذا جاء لغة و كتابة ليعبر عن هذه الأزمة، و يترجمها بصريا من حيث الشمول

و قد كان أيضا الرسم التشكيلي المرافق لنص " مهاجر غريب في بلاد الأنصار" المشكل من العنوان على شكل خريطة الجزائر، حيث رسمها الشاعر من البنية اللغوية للعنوان، فهذا العمل الشعري، عمل مؤسس، و ممنهج، و يحمل رؤيا معينة ، الهدف منه ليس التجريب فقط و مسايرة طرق الكتابة الحديثة ،و إنما هو إشراك أكثر من مبدع في إنتاجه، و إعطاء النص فرصة التجدد و التعدد، و ترسيخه في ذاكرة القارئ عن طريق تميزه اللغوي الكتابي، و الفني ،فالنص لا يخرج عن كونه موعدا ثنائيا لمبدعين هما القارئ و الشاعر، فنحن هنا أمام متلق لمجموعة من المبدعين؛ الشاعر ، الرسام ،الخطاط، قارئ اللغة، قارئ الصورة، قارئ التشكيل، الجزائري المعني بالخريطة، القارئ العربي...إلخ .

فمهما تنوع الشكل الشعري فإن الشاعر يوسف وغليسي أستعان بالفضاء البصري الذي يشترك مع بقية العناصر البنائية الأخرى ، لغة و أسلوبا و صورة ووزنا ... ليشكل نصه.

ملاحظة: للمحاضرة مراجع أهمها كتابي جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر الذي نشرته المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر سنة ٢٠١٥ و كتابي فضاء النص /نص الفضاء، المنشور سنة ٢٠٠٧ عن دار أرتيستيك للنشر الجزائر.